(١٢)

٣ ملفات على مكتب وزير الدفاع الجديد تركها ونزل لمعسكرات الجنود!

يقول الحفيد لجده: قصة الصراع بين الجيش والإخوان ما تزال مستمرة وفيها قد وصلنا إلى نقطة المواجهة بين السيسى وبينهم أو ما سماه البعض بعملية حرق الإخوان.. وهذه هى تفاصيل الحكاية:

برغم أن فترة حكم جماعة الإخوان المسلمين كانت مليئة بالأخطاء والخطايا والجرائم، وهو ما عجل بسقوطهم المروع فى ثورة شعبية تاريخية، لم يشهدها بلد من قبل وأعتقد أنها ثورة شعبية لن تتكرر، ثورة تاريخية بحق، فلم تخرج على مدار التاريخ عشرات الملايين فى ثورة شعبية تطالب بإسقاط النظام الحاكم فى بلد ما، ولكن المصريين فعلوها كالعادة.

المهم برغم أخطاء الجماعة فى الحكم فإن أعظم خطأ ارتكبوه والذى تحول إلى لعنة أحرقتهم، كان قرار اختيار اللواء عبدالفتاح السيسى وزيرا للدفاع، كانت حساباتهم تستند على ما يبدو إلى ما تناثر من معلومات أو شائعات حول " إخوانية" عبدالفتاح السيسى، أى حول ميوله الإخوانية أو على الاقل حول تدينه.

كما أنهم من المؤكد جمعوا عنه معلومات، أشارت جميعها إلى أنه ملتزم دينيا ويواظب على أداء الصلوات فى أوقاتها، وأن زوجته منتقبة، وهى معلومات بعضها منقوص وكان يجب على الإخوان المسلمين وجهاز مخابرات الجماعة أن يتأكد منها بمختلف الطرق، لكنها إرادة الله التى أعمت أبصارهم، فرغم أن عبد الفتاح السيسى متدين يواظب على أداء الصلوات فى أوقاتها، إلا أن ذلك لا يعنى أنه رجل مصرى، كغيره من المصريين لديه تدين فطرى، لكنه تدين ذو طابع خاص يتميز به المصريون، وهو التدين الوسطى – سواء كان المصرى مسلما أم مسيحيا أم يهوديا، فهذه سمة التدين لدى مصر، وبالتالى فإن رؤيته للاسلام تختلف تمام الاختلاف عن رؤية الإخوان المسلمين وكافة الجماعات السلفية والجهادية والتكفيرية، على يد عمرو بن العاص، إنه إسلام الأزهر الشريف.

كما أن الإخوان المسلمين لم يعملوا عقولهم ويسألوا أنفسهم.. وهذا من فضل الله، فاذا كان عبد الفتاح السيسى إخوانيا ومعروف عنه أنه متدين زيادة عن اللزوم، فكيف كان سيستمر ضابطا فى المؤسسة العسكرية، ليس هذا فقط وإنما يترقى ويشغل مناصب حساسة آخرها مدير المخابرات الحربية، ومعروف عن المؤسسة العسكرية المصرية أنها لا مكان فيها إلا للحرفية والمهنية والالتزام الوطنى، لا مكان فيها لأى تيارات دينية أو سياسية، ومن يتم اكتشاف انتماءه لأى من هذه التيارات الدينية أو السياسية يتم استبعاده على الفور

من المؤسسة فقد عانت القوات المسلحة المصرية بضع سنوات من اختراق التيارات التكفيرية لصفوف الضباط والجنود فى عصر الرئيس الراحل السادات وانتهى الأمر بكارثة اغتياله وسط جنوده أثناء الاحتفال بذكرى انتصار حرب أكتوبر أعظم مناسبة فى حياة العسكرية المصرية وحياة مصر كلها وهو ما جعل المؤسسة تفرض قيودا كبيرة جدا تواجه بها أى اختراق جديد لها من جانب هذه التيارات الدينية أو السياسية وهو ما نجحت فيه طوال سنوات حكم مبارك.

يضاف إلى ذلك أن منصب مدير المخابرات الحربية ليس هينا فهو أحد أجهزة الأمن القومى التى تخضع وتتبع مباشرة للرئيس الأسبق مبارك، المعروف بدقته فى المسائل المنية، وبالتالى فإنه لم يكن ليختار شخصا تحيطه الشكوك حول تدينه أو انتمائه لجماعة الإخوان المسلمين، ولا يمكن أن ننسى ما كان بين قيادات الأجهزة الأمنية من صراعات تفتح الباب لأن يدس كل طرف لها للآخر عند الرجل الكبير أقصد حسنى مبارك، ولم يكن حبيب العادلى وزير الداخلية ذو السلطات الواسعة والأذرع الأمنية المنتشرة فى كل مكان فى مصر، وتجسسه على مختلف الجهات والمؤسسات فى مصر، ومنها المؤسسة العسكرية لم يكن ليترك السيسى "الإخوانى" ينعم فى منصبه لحظة إذا ثبت عنده أنه لإخوانى أو متدين حبتين.

ومن ناحية ثانية فإن مسألة أن زوجة السيسى "منتقبة" كانت تحتاج من الإخوان إلى تدقيق وتشغيل عقل، لكن الحمد لله أن عقولهم تعطلت عن العمل، فليس هناك ما يشير أو يؤكد أن السيدة زوجة عبد الفتاح السيسى منتقبة وإنما هى مثلها فى ذلك مثل ملايين المصريات ترتدى الحجاب المصرى وليس الخمار أو النقاب.

شائعات وشكوك

ونعود لنقول أن الإخوان المسلمين ليسوا وحدهم الذين انخدعوا فى عبدالفتاح السيسى، فالحقيقة أن الرجل أحاطت به الكثير من الشائعات والشكوك حول انتمائه لجماعة الإخوان المسلمين، لكنه وبرغم قيادته لجهاز المخابرات الحربية، لم يتحرك أو يرد على أن شائعة أو ينفى أى شكوك وهذا راجع إلى أنه يحب العمل فى صمت ولا تهمه "خزعبلات" الآخرين وحقدهم وربما يكون السيسى نفسه كان سعيدا بمثل هذه الشائعات التى تحقق ما كان يفكر فيه ويخطط له إذا صح تحليلنا، ولهذا لم يتحرك مثلا ليرد على

الاتهامات الصريحة والمباشرة التى كان يرددها يوميا الإعلامى المثير للجدل توفيق عكاشة فى حلقات برنامجه الذى كان فى وقت من الأوقات يستحوذ على أكبر نسبة مشاهدة خاصة من المصريين البسطاء وفى الاحياء الشعبية نظرا لما يتميز به توفيق عكاشة من طرافة وكوميديـة فى تقديم الحلقات، ونظرا لما كان يقول إنـه انفرادات ومعلومات مؤكدة، كال عكاشة الاتهامات المباشرة والصريحة لعبد الفتاح السيسى مدير المخابرات الحربية، وأقسم أكثر من مرة إنه إخوانى وإنه عميل جماعة الإخوان المسلمين فى صفوف القوات المسلحة، وإنـه رجل يعمل ضـد الثورة ويقود ما كان يعرف بالطـرف الثالث، ومع ذلك لم يتحرك عبد الفتاح السيسـى ليوقف عكاشـة وأمثاله عن تجاوزاتهم، واختار الصمت، وهى سمة يتميز بها السيسى الذى أكسبه العمل فى ميدان المخابرات سمات كثيرة منها أنك يصعب عليـك إذا نظرت إليه أن تعرف شـيئا من قسـمات وجهه وتعبيراتـه، ولا حتى من نبرة صوته، ولا من إيماءاته وحركاته، بل إن هذه جميعا قد تكون وسائل يستخدم فى الخداع والتضليل، وهو ما حدث طوال تعامله مع الرئيس المعزول محمد مرسى، والابتسامات التى كانـت تعلو وجهه كلما التقاه، وحتى تصفيقه لمرسـى فى خطابه الأخير عندما تلا بيتين من الشعر واتضح بعد ذلك أن كل ما سبق وغيره كان جزءا من خطة الخداع الاستراتيجى التى وضعها السيسى لإسقاط الإخوان المسلمين ومحمد مرسى.

إذن لم يكن الامر مجرد شـائعات يتداولها المصريون فى جلساتهم الخاصة، بل تحول إلى ما يشـبه اليقين، وتجاوز الحدود المصرية ليكتـب "دانيال بابيس" الباحث الأمريكى الذى ينشر دراساته ومقالاته فى مجلة "ناشيونال إنتريست".

فوق الخيال

بعد إقالة طنطاوى وتصعيد السيسى كتب «بابيس» أن نفوذ ضباط الجيش المتعاطفين مع الإخوان أكبر مما تخيل الجميع، فهؤلاء إما أعضاء بالجماعة بشـكل صريح، أو متعاطفون معها لكن الجماعة تنكر عليهم عضويتهم، ولأن السيسـى متعاطف مع الجماعة فهى تنكر عضويته، لكن أحد القادة أخبر بابيس – كما ادعى هو – بأن السيسـى ينتمى إلى أسـرة الجماعة الرسمية.

وحتى يؤكد بابيس انتماء السيسـى لجماعة الإخوان المسـلمين فقد أشار إلى أنه شارك فى إجهاض انقلاب عسـكرى كان يخطط له طنطاوى وعنان ضد مرسـى فى ٢٤ أغسطس

٢٠١٢م، كلامه هو كما قاله: «تمكن السيسى كرئيس للمخابرات الحربية من الحصول على معلومات حول انقلاب ٢٤ أغسطس، وتعقب المسؤولين العسكريين الموالين لطنطاوى وفصلهم، وهناك شواهد أخرى تؤكد كلامى، فطارق الزمر القيادى الجهادى وأحد مؤيدى مرسى، وهو ضابط سابق بالقوات المسلحة اعترف بأن اخَتيار السيسى كان يهدف لإجهاض انقلاب عسكرى على مرسى».

وقد انتشرت شائعة "اخوانية السيسى" عقب توليه المنصب وغذاها الإخوان المسلمون وأطراف أخرى، لتثبت الجماعة فكرة أن المؤسسة العسكرية باتت فى قبضتهم، ويقف على قمتها إخوانى سينفذ مشروع "أخونة" الجيش وهو الحلم الذى راود الجماعة عقودا طويلة، وهى المؤسسة التى تصدت للمشروع، ووقفت صامدة أمامه وتكسرت على صخورها أحلام الجماعة.

والأطراف الأخرى غذت هذه الشائعات للتخلص من السيسى الذى اعتبره منافسا خطيرا لها، اما الشعب فانه استكان وصدق هذه الشائعات، برغم أنه وبعدما انكشف الوجه الحقيقى للإخوان المسلمين ولمحمد مرسى، تعلقت آماله بالجيش ليخلصه.

لكن الذى يدعو للتساؤل هو لماذا وافق عبدالفتاح السيسى على تولى وزارة الدفاع على جثة المشير طنطاوى الذى كان يعتبر السيسى ابنه؟.. وهل تآمر السيسى وسط هذه الشائعات والشكوك مع الإخوان المسلمين ومحمد مرسى؟

هذه الاسئلة طرحها الزميل الكاتب محمد الباز الكاتب الصحفى فى حلقاته التى كتبها للاجابة عنها وهنا أنقل حرفيا: "لماذا قبل الفريق أول عبدالفتاح السيسى منصب وزير الدفاع دون أن يرجع إلى المشير محمد حسين طنطاوى؟ لماذا ذهب إلى قصر الاتحادية فى ١٢ أغسطس ٢٠١٢م ليؤدى يمين المنصب الدستورية أمام محمد مرسى دون أن ينتظر رأيه وهو الذى عمل معه لسنوات طويلة داخل وزارة الدفاع، جعلت طنطاوى يتعامل معه كابنه ويدفعه إلى الأمام غير ملتفت إلى أحقاد من حوله على الجنرال الصاعد «طنطاوى قال مرة إن السيسى يذكره بشبابه لكنه يعرف أن مستقبله سيكون أفضل منه كثيرا».

ما رأيكم أن نعدل صيغة السؤال قليلا وليكن: هل شارك عبدالفتاح السيسى فى خطة محمد مرسى للإطاحة بالمشير طنطاوى من منصبه ومعه سامى عنان؟

الإجابة عن السؤال بهذه الصيغة يمكن أن تكون دقيقة ومنطقية، ولنبدأ الحكاية من أولها.

استقالة طنطاوى

كان هناك إلحاح على المشير طنطاوى من بعض رفاقه فى المجلس العسكرى أن يتقدم باستقالته من منصبه فى ٣٠ يونيو ٢٠١٢م، وهو اليوم الذى أوفى فيه بوعده وسلم السلطة لرئيس مدنى انتخبه الشعب.

ساعتها كان طنطاوى سيدخل التاريخ من أوسع أبوابه، لكنه ربما خاف أن تتم محاكمته فقرر أن يستمر راضيا بالإهانة التى لحقت به، عندما أصبح وزيرا فى حكومة يرأسها هشام قنديل الذى يقترب بالكاد من عمر أولاده.

قرر المشير طنطاوى ألا يحضر اجتماعات مجلس الوزراء التى يعقدها هشام قنديل، وقال إنه لن يفعلها إلا فى الاجتماعات التى يحضرها الرئيس مرسى بنفسه، لكن مشهد وقوفه أمام مرسى ليؤدى اليمين الدستورية وأدائه التحية العسكرية له كان مستفزا لكثيرين ممن كانوا يريدون للرجل خروجا كريما، وكان السيسى واحدا من هؤلاء.

كان السيسى يعرف أن استمرار طنطاوى فى الجيش تحت قيادة محمد مرسى سيؤدى حتما إلى انهيار داخلى فى المؤسسة التى أصابتها الجراح من جراء سياسات طنطاوى، والذى لن يكون سهلا عليه أن يترك السلطة بسهولة، ولذلك فلن يتردد فى محاولة مقاسمة مرسى سلطاته، وهو ما يمكن أن يدفع الجيش ثمنه.. ولذلك فلابد أن يخرج الرجل الآن وليس غدا، ولم يكن السيسى وحده الذى رأى ذلك، بل هناك آخرون فى المجلس العسكرى وقفوا إلى جواره ليكون هو من يقوم بثورة تصحيح فى المؤسسة العسكرية.

ماذا عن سامى عنان؟

عنان الرجل الطامح والطامع فى منصب وزير الدفاع.

لقد جرى فى الأيام القليلة التى سبقت إعلان فوز محمد مرسى بالرئاسة أن جلس معه سامى عنان، وقرأ الرجلان الفاتحة التى تعهد بعدها عنان بأن يكون مخلصا لمرسى ويكون ولاؤه كاملا له.

عرف السيسى -هناك من يرجح أنه حضر هذه الجلسة بنفسه- أن سامى هو من طلب قراءة الفاتحة أمام مرسى، وأنه كان يقدم له فروض الولاء والطاعة دون أن يطلبها الرئيس الإخوانى منه، وكان طبيعيا أن يتأكد السيسى أن استمرار عنان فى المؤسسة سيكون خطرا عليها، لن يكون فى صفها أبدا، «المفارقة أن هذا الموقف لم يعجب محمد مرسى أيضا».

قبل السيسى المنصب إذن وهو يعرف أن قبوله هذا يعنى إبعاد طنطاوى وعنان نهائيا عن الصورة، لكنه فعل ذلك من أجل تضميد جراح المؤسسة العسكرية، وهو ما جعل الكاتب الكبير عبد الله السيناوى يصف صعود السيسى إلى المنصب الكبير فى وزارة الدفاع بأنه نصف انقلاب ونصف اتفاق.

نصف انقلاب على قيادات أدرك قادة المجلس العسكرى أن استمرارهم يمكن أن يضر بالمؤسسة العسكرية، ونصف اتفاق مع محمد مرسى أراد السيسى من خلاله أن يعود بالجيش إلى ثكناته مرة أخرى مبتعدا به عن العمل السياسى الذى بدأ بهتاف «الجيش والشعب إيد واحدة».. وانتهى بهتاف «يسقط يسقط حكم العسكر».. لكنه لم يكن اتفاقا على تسليم الجيش لمحمد مرسى وجعله فى خدمته.

كان الفريق السيسى يعرف عمق الجرح الذى تعانى منه المؤسسة العسكرية، كانت لديه ثلاثة تحديات واضحة عندما تولى مسؤولية وزارة الدفاع، الروح المعنوية المنهارة لدى قياداته وجنوده، والتسليح الذى كان ضعيفا جدا، والتدريب الذى تراجع كثيرا بسبب وجود القوات فى الشوارع لفترة تقترب من الثمانية عشر شهرا.

٣ ملفات

منذ اليوم الأول عمل السيسى على هذه الملفات الثلاثة، وتؤكد تجربته أنه نجح تماما فيما قرره، فقد استطاع أن يرفع الروح المعنوية لجنوده، ويرفع التسليح عبر عدة صفقات للسلاح، أما التدريب فحدث عنه ولا حرج، فقد نزل بنفسه إلى معسكرات جنوده، وكان يتريض معهم بنفسه فى طوابير الصباح ليعطى القدوة والمثل، وكانت النتيجة أنه منح الجيش نضارة لم تكن فيه، بعد أن ظل طويلا يرقب قياداته وهى تشيخ فى مقاعدها.

ما فعله الفريق السيسى فى الجيش كان مطمئنا جدا لقيادات المؤسسة العسكرية التى بدأت تستعيد عافيتها، لكنه كان مقلقا جدا لمن لا يريدون خيرا للجيش المصرى، أحد المراقبين الإسرائيليين قال عنه: هذا الرجل خطر.. لقد تركنا ننشغل بالإخوان المسلمين وماذا سيفعلون فى الحكم، وتفرغ هو للجيش.

قد تقول إن إزاحة طنطاوى كانت ضرورية، فبقاؤه على رأس المؤسسة العسكرية لم يكن فى صالحها على الإطلاق، لكن ماذا عن سامى عنان؟

ألم يكن الفريق قادرا على صياغة المؤسسة العسكرية من جديد؟

ألم يكن قادرا على أن يقف بالجيش فى وجه أى محاولة لاختطاف الوطن؟

أقول لك إن وجود سامى عنان فى المؤسسة العسكرية كان أخطر عليها من وجود طنطاوى، ولذلك جاء خروجه بتوافق كبير بين القيادات، فصعوده إلى منصب وزير الدفاع كان سيؤدى إلى تفكيك القيادات وتفتتها، وربما كان الفريق أول عبدالفتاح السيسى أول ضحاياه.

ونعود إلى محمد مرسى مندوب جماعة الإخوان المسلمين فى قصر الرئاسة، الذى جاء لتنفيذ مخططاتها التى لا مكان فيها لمصر ولا للمصريين ، فقط الجماعة هى البطل والبطل الوحيد..

فمنذ اليوم الأول للرئيس السابق فى الحكم ظهر ما فى صوره من حقد تاريخى مثله فى ذلك مثل جميع أعضاء الجماعة، ضد المؤسسة العسكرية التى ظلت سدا منيعا يتصدى لمؤامرات الجماعة، فالرجل لم ينس أن جمال عبد الناصر وأنور السادات وحسنى مبارك، جميعهم ينتمى للمؤسسة العسكرية..

وكان يستند إلى تلك المؤسسة فى صراعه مع جماعة الإخوان المسلمين، ولهذا فلم يكن غريبا أو مفاجأة أن يعلن محمد مرسى عن موقفه الصريح والصادم تجاه تلك المؤسسة..

وإن جاء ذلك مغلفا بالهجوم على أشخاص الرؤساء المصريين السابقين عليه فى أول خطاب أو كلمة له فى ميدان التحرير عقب ساعات من فوزه فى الانتخابات الرئاسية وآدائه اليمين أمام الدستورية أمام هيئة المحكمة الدستورية.. قالها صريحة وبدون مواربة وهو إن كان يقصد فى المقام الأول جمال عبد الناصر وممارسته ضد جماعة الإخوان المسلمين فى فترة الستينيات فإن مرسى ألمح بكلمته تلك إلى المؤسسة العسكرية التى ينتمى إليها عبدالناصر وكانت تقف وراء كل قراراته.

خطايا مرسى

بعد ذلك توالت خطايا محمد مرسى والجماعة عندما احتفل بذكرى نصر أكتوبر أعظم أيام مصر..

حيث أنه استبعد أبطال الحرب من الحضور فى الاحتفال، وبدلاً من أن يجلسهم بجواره شاهدنا قتلة الرئيس الراحل الشهيد محمد أنور السادات فى يوم ٦ أكتوبر هم من يجلسون إلى جوار الرئيس الجديد، فى رسالة واضحة لا تحتمل التأويلات، بأن الرئيس الإخوانى

لا يعتبر هؤلاء إرهابيين قتلة.. وإن ما فعلوه فى حق المؤسسة العسكرية ليس جريمة أو خطيئة.. لم يحضر المشـير طنطاوى بطل من أبطال حرب أكتوبر، وحضر قتلة السادات "آل الزمر"!! وقبـل هذا جاء الإقصاء المهين للمشـير طنطـاوى والفريق عنان، عقب مذبحـة رفح التى راح ضحيتها ١٧ من جنود القوات المسـلحة فى عملية إرهابية أحاطت شـواهد كثيرة فيها بتورط الإخوان المسلمين وحلفائهم فى ارتكابها..وهو ما لم تنساه المؤسسة ولا السيسى وانتقم للضحايا ولشرف القوات المسلحة بعد ذلك.. ولم يكن يستسيغ ضباط وقادة كثيرون بالقوات المسلحة ما يقوم به محمد مرسـى وتكراره لكلمته أنه القائد الأعلى للقوات المسـلحة، فهؤلاء لا يقبلون به قائدا لهم فهو ليس ابن القوات المسـلحة..كما أن لجماعته سـجلا أسود فى حق مصر والقوات المسلحة.

كان فـى الحـق غصة وفى القلوب مرارة وفى النفوس رغبة فى التخلص من هذا الخطر وكغيره من رجال القوات المسلحة كان المشير عبد الفتاح السيسى يفكر فى وضع حد لهذه المهـازل، لكنه ومع المسـئولية التى يتحملها كان يكتم غيظـه ويتحكم فى انفعالاته حتى يتخطى عنق الزجاجة بالنسبة للمؤسسة العسكرية..

ويعيد إليها بريقها لدى الشعب، بعدما تعرضت له من إساءة الظنون والتخوينات كان السيسى يريد أن يعبر إلى بر الأمان وبعدها يكون حديث آخر.

حركة تغيرات

وكان السيسـى مدركا بالتحرشـات المتكررة من جماعة الإخوان، ولأهداف التسريبات التى قامت بها الجماعة عن طريق قيادات فيها بين الحين والآخر، عن نوايا لإجراء حركة تغييرات فى المؤسسة العسكرية وتعيين وزير جديد للدفاع..

كما حرصت الجماعة على لسـان قيادات بهـا إلى توجيه الإنتقادات اللاذعة والتجاوز فى حق المؤسسة وإهانتها وقادتها فى تصريحات أو حوارات؟! على الطرف الآخر لم يكن السيسى يتردد فى الرد على كل هذه التسريبات والانتقادات والتجاوزات..

وحاربهم بنفس أسـلوبهم بسـلاح التسـريبات علاوة على ما يصدر عن المتحدث باسم القوات المسلحة ..

كان الرد حاسما من خلال رسالة واضحة عنوانها، ويبقى السؤال حائر ماذا يريدون من القوات المسلحة.. ومتى تهدأ مصر؟ وكان هذا بعض ما جاء فيها.

وصفـت الرسـالة كل من حـاول إيهام الشـعب المصرى بأن دور وزيـر الدفاع الجديد

عبد الفتاح السيسى هو رجل الإخوان، وأنه قد غدر بأعضاء المجلس العسكرى السابقين بأنهم مجموعة من الحمقى لأن وزير الدفاع تقلد كل مناصبه حتى الوصول إلى منصب مدير المخابرات الحربية..

وإنه تقلد من منصب مدير المخابرات الحربية فى عهد الرئيس السابق، الذى حيث كان من الواضح أن كل من يلتزم دينيا أو أخلاقيا أصبحوا يعتبرونه من التيار الإسلامى أيا كان الفصيل..

أراد السيسى من خلال الصفحة الرسمية للقوات أن ينفى إخوانيته بدليل قاطع فلو أنه كان كذلك، أو لو أنه كان مجرد متعاطف معهم لما استطاع أن يترقى داخل القوات المسلحة ولما أصبح مديراً للمخابرات الحربية.

❑❑❑